فحسب ، بل أصبحت فكراً في العقل ، وعقيدة في القلب ، وترياقاً في الدم ، تسري في عروق المسلمين ، وتقترن بالقرآن الكريم الذي يعتبر منبع كل العلوم ، فيقول إقبال :

أَبَـعْـدَ كتـاب الله يبسـط مـرجـع يمـلّ علـى فحـواه سـرٌّ معقـدُ

فأنت الذي بالشعر أيقظت أمة من البؤس كانت بالأمس المرّ تَجْهَدُ

فالقرآن دستور الإسلام والمسلمين ، والعربية لسان دين الإسلام ، وفيهما الآداب الإسلامية والأحكام الإلهية ، والسعادة الأبدية ، ولا بد من الحفاظ عليها لبقاء الإسلام ، واستمرار حكم الله في الأرض ، وضمان الوجود للأمة الإسلامية ، ولذلك وجه السيد جمال الدين الأفغاني انتقاده المرّ إلى الأتراك في آخر عهدهم الأسود لترك العربية ومحاولة التتريك ، فقال: «ويسوؤني ـ وأنا ممن يحبهم ـ وأتأثر كلما افتكرت فيما ارتكبوه من الخطأ في عدم قبول اللسان العربي ، وأزداد تأثراً إذْ أراهم يرتكبون خطأ أفضح ، وهو جريهم وراء تتريك العرب ، واستبدال اللسان العربي ـ لسان الدين الطاهر ، والأدب الباهر ، وديوان الفضائل والمفاخر ـ »[1] .

القسم الثاني: العرق العربي أو الجنس العربي عند إقبال:

كان إقبال ـ كما سبق ـ من دم هندي ، ولكن ترفع عن مستوى القوم والجنس والعرق ، وتبنى نظرة الإسلام إلى الأقوام والجنسيات عامة ، والجنس العربي خاصة ، فاعتنق الإسلام عقيدة وفكراً ، وأحب الإسلام حباً جماً ، وعشق رجالهم ، وتغنى بمآثرهم.

وإن الشعور القومي أمر فطري وغريزي لوجود الارتباط بين أفراد

---

(١) السيد جمال الدين الأفغاني ، أبو رية ص٢٠٦.

الجماعة القومية الواحدة ، وبهدف الحفاظ على الذات والوجود ، وهذا الشعور يرتبط به أمران مهمان :

الأول : عدم الوقوف عند الأنانية القومية والشعور الذاتي ، وتجاوزه إلى الشعور الإنساني ، والارتباط العالمي ، لتوفير الصلة الوثيقة بين الأمرين ، وتحقيق التوازن بينهما .

الأمر الثاني : وجوه القيم والمبادىء والأفكار والعقائد التي تربط الأفراد في القوم الواحد ، ثم تربط بين الأقوام ، والشعوب ، والأمم .

وهذا ما قرره الإسلام بوضوح وصراحة ، فقال عز وجل مبيناً قدرته وعظمته في خلق الناس ، وجعلهم شعوباً وأمماً وأجناساً مختلفة : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾ [الروم : ٢٢] .

ولكن الله تعالى أراد من الأمم والشعوب التعارف والتعاون على الخير والبر والتقوى ، فقال عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

ومن هنا فإنه لا تفاضل بين الأجناس ، والأقوام ، وإنهم جميعاً خلق الله وعباده ، وإنه لم يفضل قوماً على قوم ، ولا جنساً على آخر ، وهذا ما أكده الرسول ﷺ بقوله : «يا أيها الناس ، إن ربّكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ، إلا بالتقوى»[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : «إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، مؤمن تقي ، وفاجر شقي ، وأنتم بنو آدم ، وآدم من

---

(١) رواه الإمام أحمد ٥/ ٤١١ .

تراب ، ليدعن رجال فخرهم بأقوام ، إنما هم فحم من فحم جهنم ، أو ليكونُنَّ أهونَ على الله من الجُعْلان التي تدفع بأنفها النَتَن»[1] .

ولكن الله تعالى فضل العرب على غيرهم بالوصف، لا بالذات، بأن اختارهم لحمل رسالته الإلهية، وتبليغ دعوته العالمية التي ختم بها النبوة والرسالات، فكان لهم فضل المعلم على المتعلم.

وقد ثبت لهم هذا الفضل عندما قبلوا الإسلام، وحملوه، وبلغوه، ونشروه في العالم بين الشعوب والأمم، وبقي لهم هذا الفضل ما داموا على هذا الجانب، ويقفون على هذه المنصة ويحملون هذا المشعل والنور الضياء، فإن تخلوا عن ذلك فقدوا فضلهم، وقصروا أمام ربهم، واهتز النور في أيديهم، وقد ينقلبون وبالاً على الشعوب الأخرى بالتخلف عن مقدمة الركب، والتيه في مسيرة البشرية، وهذا ما أراده القرآن الكريم في الآية السابقة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وهو ما أكده الرسول ﷺ بأنه: «لا فضل لعربي. . . إلا بالتقوى» «مؤمن تقي وفاجر شقي» هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن الإسلام غذّى القومية العربية بزاد فكري، وأمدَّها بالقيم والأفكار والأخلاق والعقيدة ليحقق هدفين رئيسين:

الأول: ليوحد بين أفرادها، ويوفر لهم الانسجام الكامل، لأن عناصر القومية الأساسية في العرق والجنس واللغة والأرض لاتكفي، ولا تحقق الوحدة والوجود للقومية، فالقومية هيكل والدين أو الفكر غذاء وكساء، والقومية جسد، والفكر أو الدين روح، ولا بد من اجتماع الجسد مع

---

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً. (مسند أحمد ٢/ ٣٦١ ، ٥٢٤ ، سنن أبي داود ٢/ ٦٢٤ ، سنن الترمذي مع تحفة الأحوذي ١٠/ ٤٥٥).

الروح لتحقيق الحياة، وكان الإسلام روح القومية العربية وغذاءها والعنصر الفعال والحاسم فيها.

وتلخص العلاقة بين العرب والإسلام بهذه العبارة: «العرب وعاء الإسلام، والإسلام روح العروبة».

وإن عناصر القومية والمادية تعتبر بحدّ ذاتها مجرد تجمع عرقي أجوف، لا يملؤه إلا الفكر والثقافة والعقيدة التي تحافظ على القوم والجنس، وإلا تفككت عراها، وانفرط عقدها، وانقسمت أجزاء متقاتلة ومتحاربة (كما كان الحال بين الغساسنة والمناذرة، وبين القبائل العربية في الجاهلية، وكما هو الواقع الموجود بين البلاد العربية الآن، والتمزق بسبب اختلاف الفكر والمبدأ، وكما هو الأمر في شبه القارة الهندية وانقسامها إلى الهند وباكستان وبنغلادش، وإيرلندا الشمالية، وأفغانستان، ونيكاراغوا، وكوريا الشمالية، وكوريا الجنوبية، وغيرها).

الهدف الثاني: الذي حققه الإسلام ، وغذى به القومية العربية هو أن يقيم لها أساس التعاون واللقاء بينهما وبين الأقوام والشعوب الأخرى ، ولا تبقى الأمة العربية معزولة عن العالم ، أو متقوقعة على نفسها ، أو تقف في أهدافها وتطلعاتها على النزعة القومية ، والتطرف الإقليمي ، والفكرة العنصرية والجمود العرقي الذي يهدد البشرية بالحروب والقتال ، والحقد والنزاع ، والتعالي والتفاخر ، وهو ما تؤكده الأحداث التاريخية قديماً ، وهو ما ظهر في العصر الحاضر عند النازية ، وعنصرية جنوب إفريقية ، والعنصرية الصهيونية ، وغيرهم من المغالين في القومية ، الذين يجعلون منها ديناً وعقيدة ومذهباً وشعاراً ، مع أن القومية مجرد انتماء وانتساب تحتاج إلى عقيدة وهدف.

وجاء الإسلام ليسمو بالقومية العربية نحو الأهداف السامية ، والمبادىء القويمة ، والشعور الإنساني والإخاء العالمي ، ونقل العرب

من قومية العرق والجنس ـ دون أن يلغيها نهائياً ـ إلى قومية الدين ، إن صح هذا التعبير ، وأقام الروابط بين الناس على أساس الإيمان والعقيدة ، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] ، ليتم التعاون بين القوميات والأجناس والأعراق ، ويتم التعارف الكامل في خدمة البشرية والإنسانية ، وهو ما حققه الإسلام عملياً في التاريخ ، وهو ما يشعر به المسلم نظرياً ، وعقيدةً ، اليوم ، على أن يبقىٰ العرب في القيادة والريادة والقلب والفكر ، لأن الإسلام نزل بلغتهم ولأنهم أدرى الناس بفهمه ، وأجدرهم بحمله ، وهم الذين نقلوه إلى العالم ، وبلغوه للشعوب.

وهذه النظرية للأقوام والأجناس والأعراف، وحاجتها للفكر الموحد، والعقيدة الواحدة ، هي أرقىٰ ما أدركته البشرية اليوم ، وهي المعيار الأساسي في وحدة الشعوب ، ولقاء الأمم ، كما هو الحال في الاتحاد السوفييتي ، والسوق الأوربية ، وغيرها في أكثر دول العالم التي تضم على أرضها ـ عملياً ـ عدداً من الأقوام والأجناس ، ويوحدها وحدة الفكر والثقافة ، أو العقيدة والدين أو الاتجاه الاقتصادي والمبادىء المشتركة.

وهنا نشير إلى الفرق الشاسع ، والبون الكبير بين الإسلام واليهودية ، فالإسلام نقل العرب أولاً ، والأقوام الأخرى ، من دائرة القوم والجنس والعنصر المحصور في المكان والدم والعرق ، إلى الأممية والعالمية ، مع وحدة الفكر والثقافة ، أما اليهود فقد حرفوا دين الله ، وتلاعبوا في كتب الله ، وزوَّروا على لسان الأنبياء والمرسلين ، وضيقوا الشرع والعقيدة ليضعوها في قمقم صغير ، فقلبوا الدين إلى قومية وعنصرية ، وحصروا الثقافة في القوم والجنس اليهودي ، وجعلوا من أنفسهم شعب الله المختار ، وتعالوا على بقية الشعوب ، واحتقروا بقية الأقوام ، فكانوا مثلاً سيئاً للعنصرية الممقوتة ، ونموذجاً شاذاً لتمثيل الأنبياء ودعوة الأديان السماوية.

فإن عدنا إلى العلامة إقبال لوجدناه يحمل هذه المشاعر والمبادىء الإسلامية عن القومية العربية والعرق العربي ، وصلته مع القوميات الأخرى ، والشعوب المتعددة .

إن إقبال من دم هندي ، وعرق معين ، ولو وقف عند هذا الحد لكان واحداً من أولئك الملايين الذين يعبدون البقرة ، ويسجدون لها ، ويقدسون حركتها ، ويشربون بولها ، ولكنه تخلى عن ذلك إلى ما هو أسمى وأعلى ، وإلى ما هو أعم وأشمل ، دون أن يتخلى عن دمه وعرقه ولغته .

ذكر إقبال في عدة مناسبات من شعره ، أنه من سلالة البراهمة ، ولكنه لا يفخر بهذا الأصل بل يفخر بأن رجلاً من سلالة البراهمة أدرك من حقيقة الإسلام وأسراره ما أدرك .

فيقول في «ضرب كليم» يخاطب «سيِّداً مصاباً بالفلسفة» :

وإنني في الأصل سُومَناتي إلى مَنَاةٍ نسبي واللات
وأنت من أولاد هاشمي وطينتي من نسل برهمي

ويقول في «أبيات أخرى ، وعنوانه «إلى أمراء العَرَب» :

هل يُسعد الكافرَ الهنديَّ مَنْطقُهُ مخاطباً أمراء العُرْب في أدب[1]

ويبين إقبال عدم انتمائه العرقي والقومي ، فيقول :

«إلى عصبات العرب ما أنا مُنْتمٍ ولا أنا هندي، ولا أنا أعجمي»[2]

ويخاطب إقبال مسجد قرطبة بأسبانيا والأندلس ، مبيناً صلته فيه ، فيقول: «إن بيني وبينك أيها المسجد نسباً من الإيمان والحنان» ، لكن يتذكر أنه هندي في قلب أوربا فيبين السر في ذلك ويقول: «انظر أيها

---

(١) محمد إقبال ، عزام ص١٥ ـ ١٦ .
(٢) محمد إقبال ، عزام ص١٩٠ .

المسجد إلى هذا الهندي الذي نشأ بعيداً عن مركز الإسلام ، ومهد العروبة؛ الذي ترعرع بين الكفار وعباد الأصنام ، كيف غمر قلبه الحب والإيمان»[1].

إن إقبال لا ينكر القومية ، سواء كانت عربية أم فارسية ، أم هندية ، أم تركية ، أم إنكليزية ، ولا يغفل عن وظيفة القومية ومكانتها في تجمع الجنس ، فيقول:

«لا أنكر أن عصبيات القبائل والأمم نافعة ـ إلى حين ـ في نشوء الحياة الاجتماعية وارتقائها ، فلست أعترض على الاهتمام بهذه العصبيات من هذه الجهة»[2].

لكن يبين إقبال خطر النزعة القومية فيقول:

«أولئك الذين قطعوا الأخوة ، وأقاموا الملة على الوطن ، ولكي يجعلوا الوطن شمع المحفل جعلوا النوع الإنساني قبائل ، وطلبوا الجنة في بئس القرار ، فأحلوا قومهم دار البوار ، وصارت الإنسانية في الدنيا أسطورة ، واستحال الآدمي غريباً عن الآدمي»[3].

ثم يحذر إقبال من الوقوف عند مجرد القومية العرقية التي تؤدي إلى العصبية والعنصرية ، فيقول: «ولكن إذا عُدَّتِ القومية أعلى درجات الرقي الإنساني ، فهي عندي أكبر لعنة على الإنسانية»[4].

وينكر إقبال رأي القائلين بأن الوطن هو أساس الأمة ، لأن القومية بهذا المفهوم إنما هو تفريق للأخوة ، وتمزيق للبشرية ، وتشتيت

---

(١) إقبال الشاعر ص/٨٧/ .
(٢) محمد إقبال ، عزام ص/١٢٨/ .
(٣) محمد إقبال ، معوض ص٣٧١ ، ديوان الأسرار والرموز ص/١٠٥/ .
(٤) محمد إقبال ، عزام ص/١٢٨/ .

للإنسانية[1] ، «وإن العصبيات الوطنية قطعت أرحام الأمم ، وإذا هجر النصارى دين عيسى بسببها ، فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً ، كل حزب بما لديهم فرحون»[2].

لكن إقبال ينظر إلى العرب خاصة نظرة احترام وتقدير ، ويرى لهم الفضل على البشرية والأقوام الأخرى بحمل الرسالة السماوية التي أضاؤوا بها العالم ، وأناروا فيها طريق البشرية ، فيقول: «إن العرب قد أحرقوا أنفسهم بنور المصطفى ، وأشعلوا سراج المشرق المنطفىء»[3].

ويكشف إقبال عن فضل الإسلام وأثره على العرب خاصة ، والأقوام الأخرى ، وأنه ارتفع بالأشخاص من النظرة العرقية الضيقة إلى النظرة الإنسانية الشاملة ، فيقول عن الإسلام:

«إنه نظام اجتماعي ، مقصده أن يمحو بين الناس فروق الأشخاص والدرجات والأنساب والألوان ، ودعوته أن يعمل الإنسان لدنياه ، ويَعْلُو على مطامع هذه الدنيا ما استطاع ، ولا يرجو إلا رضاء الله»[4].

ويقول أيضاً: «فالتعليم الإسلامي لا يخص قبيلاً دون قبيل ، ولكن يقصد إلى أخوة البشر كافة ، فهو يدعو الناس جميعاً إلى التعاون والتآخي ، وأن يُغْفَل في هذه السبيل ما بينهم من اختلاف جزئي[5] ، لقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام : ٦٤].

---

(١) محمد إقبال ، معوض ص/ ٣٧١/ ، ديوان الأسرار ص/ ١٠٥/ .
(٢) محمد إقبال ، عزام ص/ ٩٨/ ، يشير إلى تفرقة أوربا المسيحية إلى قوميات.
(٣) محمد إقبال ، معوض ص/ ١٣٢/ .
(٤) محمد إقبال ، عزام ص/ ١٣٠/ .
(٥) المرجع السابق ص/ ١٢٨/ .

ويقول: «إن الإسلام ينكر أواصرَ الأنساب، ويعترفُ بالأواصر الروحية»[1].

ويؤكد إقبال نظرة الإسلام أنه «لا يعترف باختلاف العرق أو الجنس، وهو أعلى من الزمان والمكان، وبهذا المعنى فإن كل البشر إخوة»[2]، وأن الأمة المحمدية ليس لها نهاية زمانية فيقول:

«أمـــةُ الإســـلامِ تبقـــى أبـــدا وأذان الحـــق فيهـــا خَلَـــدَا»

كما أن الأمة الإسلامية ليس لها مكان فيقول:

«لا تـرى المسلـم يحـويـه عَطـن تـائـهٌ، فـي قلبـه كـلُّ وطـن»[3]

ويبين إقبال السر الخالد الذي يجمع بين الأقوام والأعراق والأمم والشعوب، وهو الفكر والنظام والشريعة، فيقول: «لا تنتظم أمة بغير شريعة، وشريعة الأمة الإسلامية القرآن»[4] فالإسلام روح الشعوب والقوميات التي تعتنقه.

ويعتبر إقبال أن جوهر الأمة والقومية والوطنية، إنما هو الفكر والثقافة، فيقول:

«أنا لا أقبل الوطنية كما تعرفها أوربا، وليس إنكاري لها خوفاً من أن تضرَّ بمصالح المسلمين في الهند، ولكني أنكرها لأني أرى فيها بذور المادية الملحدة، وهي عندي أعظم خطر على الإنسانية في عصرنا».

ويقول أيضاً: «لا ريب أن الوطنية لها مكانها وأثرها في حياة الإنسان الأخلاقية، ولكن العبرة في الحقيقة بإيمان الإنسان وثقافته وسننه

---

(١) المرجع السابق ص/١٢١/.

(٢) من خطاب إقبال في الجامعة الوطنية بلندن في ٢٤ نوفمبر ١٩٢٢م انظر: محمد إقبال، معوض ص/١٨٤/.

(٣) ديوان الأسرار ص/١٠٢، ١٠٤/.

(٤) محمد إقبال، عزام ص/٩٨ ـ ٩٩/، ديوان الأسرار ص/١١١/.

التاريخية ، هذه هي في رأيي الأشياء التي تستحق أن يعيش لها الإنسان ويموت من أجلها ، لا بقعة الأرض التي اتصلت بها روح الإنسان اتفاقاً وصدفة»[1].

ويرى العلامة إقبال أن الإسلام حقق نجاحه الباهر في الجمع بين الأمة العربية والأمم الأخرى بفضل الدين والعقيدة والتوحيد ، بعد أن تخلى العرب عن عبادة الأصنام ، وتخلت الأمم عن عبادة الوطن فقال:

«أمم قد عَبَدَتْ أوطانَها ... وبَنَتْ من نَسَبٍ بُنْيانَها
أترى الأوطانَ أصلَ الأمم ... تُعبدُ الأرضُ بها كالصنم
إنما الأنسابُ فخر السفهاءِ ... حكمها في الجسم ، والجسمُ هَباء
ولنا في الحق أسسٌ آخر ... هو في الألباب منا مُضْمَرُ
قد خلصنا من حدود وقيود ... قلبُنا في الغَيْب إذ نحن شهود»[2]

لكن إقبال يفصح بصراحة عن مكانة العرب في الأمة الإسلامية ، وتبين أن قومية الدين والإسلام إذا كانت تغطي بجناحها أطر اف العالم الإسلامي ، فإن الأمة العربية هي القلب النابض ، والمركز العصبي الحساس ، ولها القيادة والريادة ، ومن أرضها الطاهرة تسطع الشمس المضيئة على المسلمين ، وإلى كعبتها وقبلتها وجزيرتها تتلهف النفوس ، وتلهج الأفئدة ، وتتجه القلوب ، ونحوها تتفتح العيون لترى كل حركاتها ، وتشاركها نبضاتها ، وتفرح بأفراحها ، وتأسى لأحزانها ، وتتألم لمصائبها.

وهذا ما يكرره إقبال في عدة قصائد ، وأن قلبه معلق بالحجاز وأهله ، فيقول:

---

(١) محمد إقبال ، عزام ص/٧٨/ .
(٢) محمد إقبال ، عزام ص/٩٧/ ، ديوان الأسرار ص/٨٨.

«أشواقُنا نحو الحجاز تطلعت كحنين مغترب إلى الأوطان»[1]

فالعرب هم القلب للأمة الإسلامية ، يمدها بالدم النقي ، ويحافظ على سر البقاء والوجود.

ثم يبين إقبال أن الأمة الإسلامية مؤسسة على التوحيد الإلهي ، والرسالة السماوية والشريعة الخالدة ، فلا يتعلق قلب المسلم بإقليم ، ولا يضل في دنيا الكيف والكم[2].

ويقدم إقبال من سيرة الرسول ﷺ ما يؤيد هذا الاتجاه ، بأن هاجر الرسول عليه الصلاة والسلام من بلده في مكة إلى المدينة المنورة ، ولم يتعلق قلبه بدياره الأولى في سبيل نشر الرسالة ودعمها ، فيقول إقبال: «لقد حلَّ عقدةَ القومية لدى المسلم بأن هجر سيِّدنا وطنَه»[3] ولذلك كان لرسول الله ﷺ هذا الفضل ، ويقول إقبال:

قد هدانا الحقَّ هذا المرسلُ في سبيل الحق نحن الشُّعَل
بحرُه أخرج هذا الجوهرا نحن روح واحد بين الورى
ختم الله علينا شِرْعَتَه وعلى المرسَل فينا بعثته
محفل الأيام منا يُنظم خُتم الرسل بنا والأمم[4]

ويستشهد إقبال على نظريته فيقول: «إن رينان الفرنسي يقول: إن الإنسان ليس أسيراً للجنس ولا لمجاري الأنهار وسلاسل الجبال ، ولكنْ كلُّ جماعةٍ كبيرة من البشر ، صحيحةِ العقل حيَّةِ القلب ، ينشأ فيها شعور يجمعها ، وتسمى أمة»[5].

---

(١) إقبال الشاعر ص/ ٣٤/ .
(٢) ديوان الأسرار والرموز ص/ ١٠٢ ، ١٠٤/ .
(٣) محمد إقبال ، معوض ص/ ٣٧٠/ .
(٤) محمد إقبال ، عزام ص/ ٩٧/ ، ديوان الأسرار ص٨٨.
(٥) محمد إقبال ، عزام ص/ ٣٧/ .

وهنا يبين العلامة إقبال أن المفهوم الإسلامي العالمي للقومية بأن مزجها بالدين ، وجعل العقيدة والشريعة أساسها ، ويصور إقبال هذا المفهوم بواقع عملي ، وتاريخ مشرق ، ووحدة عالمية ، لشعوب العالم التي انضوت تحت ظل الإسلام ، فيقول نشيده الإسلامي ، ومطلعه[1]:

الصينُ لنا ، والعربُ لنا ... والهندُ لنا ، والكل لنا
أضحى الإسلامُ لنا دينا ... وجميعُ الكون لنا وطنا

ثم يقول:

علمُ الإسلامِ على الأيا ... مِ شعارُ المجدِ لأمتنا

ثم يقول:

يا أرضَ النور من الحرميـ ... ـن ويا ميلادَ شريعتنا
رَوْضُ الإسلامِ ودوحتُه ... في أرضِك روَّاها دمُنا
ومحمد كان أميرَ الركـ ... ـب يقود الفوز لنصرتنا

وهنا يستدرك إقبال أيضاً أن حياة الأمة تحتاج إلى مركز حساس ، وأن مركز الأمة هو البيت الحرام في مكة المكرمة ، ويتسع محيط الدائرة بغير حدود ، فيقول:

«هكذا سنةُ ميلادِ الأمم ... مركزٌ فيه حياةٌ تَنْتظم
إنّما المركزُ روحُ الدائرة ... نقطةٌ ، فيها محيطٌ ، ضامرة
ومن المركز للقومِ نظامْ ... ومن المركزِ للقومِ دوامْ
نقطةُ المركز فينا الحَرَمُ ... لحنُنا والوجدُ فينا الحرم
نَفَسٌ في صدرنا يتَّقِدُ ... روحُنا الغالي ، ونحن الجسد
مِنْ نَداه نَضَرت أغصانُنا ... حَيي من زمزمه بستانُنا
نحن من دعواه في الدنيا دليل ... نحن فيه من براهين الخليل

---

(١) محمد إقبال ، عزام ص/٦٢/ ، إقبال الشاعر ص/٦٢/ .

صـوتُنـا يُنـدى بـه فـي الأمـم واصـلاً مُحْـدَثَنـا بـالقِـدَمِ[1]

ولما وجه أحد الإنكليز الانتقاد للعلامة إقبال بأن فلسفته تخاطب أمة من الناس هي الأمة الإسلامية ولا ترتقي إلى المستوى الإنساني العام ، رد عليه بقوله: «إن الفلسفة والشعر ينبغي أن تكون لها مقاصد إنسانية عامة ، ولكن هذه المقاصد إذا أريد تحقيقها في أعمال الحياة ، لم يكن بد من تحقيقها أول الأمر في جماعة بعينها ، لها مسلك معين ، ومذهب مستقل ، ولكن طرائقها في العمل تتسع بالدعوة والتبليغ إلى غير نهاية ، وعندي أن هذه الجماعة هي الأمة الإسلامية ، فالإسلام عدو لعصبيات الألـوان والأجنـاس ، وهـي أصعـب العقبـات فـي سبيـل اتحـاد العالم. . .»[2].

ثم يحذر إقبال من هبوب ريح القومية والوطنية بين المسلمين فيقول: «قد رأيت أن عالم الإسلام كذلك سرت فيه القومية والوطنية القائمتان على عصبية الأمة والوطن ، ورأيت المسلمين يغفلون عن مقاصدهم العامة ، ويقعون في شباك القومية والوطنية ، فرأيت فرضاً علي بأني مسلم ومحب للإنسانية أن أوجههم إلى مقاصدهم الحقة»[3].

ولا يغفل إقبال عن الأحداث التاريخية النادرة التي أساءت للنظرية الإسلامية من العرب والشعوب والقومية ، ويعتبرها أحداثاً مأساوية خارجة عن نظرة الإسلام فيقول:

«لا أنكر أن المسلمين كغيرهم خاصموا ، وحاربوا ، واستولوا على بعض البلاد ، وكان هناك بعض الحكام استغل الدين لتحقيق نزواته ، ولكنني أعرف تمام المعرفة أن الاستيلاء والسيطرة واحتلال البلاد ، كل

---

(١) ديوان الأسرار والرموز ص/ ١٢٢ ـ ١٢٤/ .
(٢) محمد إقبال ، عزام ص/ ١٢٨/ .
(٣) محمد إقبال ، عزام ص/ ١٢٨/ .

هذا لا يدخل ضمن مبادىء الإسلام. . . ، فهدف الإسلام إدخال الأقوام الأخرى تحت لوائه ، ولكنه لا يتخذ الإكراه والقوة وسيلة لهذا ، بل يستعمل الإقناع وتقديم تعاليمه البسيطة السهلة. . .»[1] ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ ﴾.

ونختم هذا القسم عن نظرة إقبال إلى القومية العربية التي نزل فيها الذكر الحكيم ، لتلتزم بشريعة الإسلام ، وأن وجود المسلم يكمن بالشريعة وحسب ، وأن أمل الأمة العربية مرتبط بشعار التوحيد بقيادة الرسول العربي العظيم ، فيقول:

إنَّ اســـمَ محمـــدٍ الهـــادي رُوحُ الآمـــال لنهضتنـــا[2]

القسم الثالث: إقبال والأمة العربية:

كانت الأمة العربية تتبوأ مركز الصدارة في قلب إقبال ونفسه ، وكانت تحتل مكاناً مهماً وعزيزاً في عقل إقبال وفكره ، فقد أحب إقبال الأمة العربية ، وتغنى بلغتها ، وعشق أهلها ، وطرب بثقافتها وفكرها ، وافتخر بتراثها وأمجادها ، وعاش مع الأمة العربية في ماضيها الجاهلي ، وتاريخها الإسلامي الذي بلغت فيه ذروة المجد في العصور الزاهية: في عصر النبوة ، والخلافة الراشدة ، وعهد النهضة والحضارة والسيادة عند الأمويين والعباسيين.

واطلع إقبال على المآسي التاريخية التي حلت بالأمة العربية ، وتألم لما أصابها من نكبات وويلات ، بدءاً من أسبانيا والأندلس ، إلى صقيلية وتركستان ، إلى فلسطين والاستعمار الغربي للبلاد العربية ، وتفطر كبده على المعارك الطاحنة بين العرب والمستعمرين في ليبيا وفلسطين

---

(١) محمد إقبال، عزام ص/١٢٩/ ، ديوان الأسرار ص /٢٦/ .
(٢) محمد إقبال، عزام ص /٦٢/ .